# سالوستيوس وحرب يوغرطة
# (دراسة تحليلية نقدية)(*)

محمد الهادي حارش

الجزائر

## ملخـــــص

يعد كتاب سالوستيوس «حرب يوغرطة» مصدراً اساسياً ووحيداً لهذه الحرب التي خاضها هذا الملك النوميدي في الفترة الممتدة من ١١١ ـ ١٠٥ ق.م. رغم ان الكتاب لا يخلو من مواطن ضعف كثيرة، باعتبار ان الكاتب كاسيوس سالوستيوس كريسبوس، لم يكن في نيته نقل احداث الحرب كما وقعت بقدر ما كان يهدف الى التشهير بطبقة النبلاء التي لا هم لأعضائها سوى اللهث وراء المصالح الشخصية دون اي اعتبار للمصلحة العليا للبلاد ولا الأخلاق.

من هنا كان علينا تسليط الأضواء على بعض الجوانب التي اتخذ منها سالوستيوس مطية للوصول الى مبتغاه، كقضية الرشوة التي جعل منها محوراً اساسياً لتبيان فساد مجتمع النبلاء، وقضية تبني يوغرطة من طرف مكيبسا، التي كان يهدف من ورائها للوصول الى فكرة تبعية نوميديا لروما، منذ هذه الفترة، وكذا علاقة المقدمة التي وضعها سالوستيوس لكتابه «حرب يوغرطة» بموضوع الحرب.

## Summory

Sallustius's book "The war of Jugurha" is considered as singuar and important source of war leod by the Numidian king in the period going from III to 105 B.C.

The book is not highly perfect in itself, because Caius Sallustius Cripus didn't really want to report the events as they happened but to proise the nobiemen who act out of self interest.

Forthis, we have to put emphasis on some facts mentioned by Sallustius to reach his objectives. He noted first the noble society, and also he raised the fact of Jugurtha's adoption by Micipsa.

Owing to these statements, he stated the Numidian dependence to Roma.

(*) محاضرة القيت في الملتقى الوطني الأول لمعهد التاريخ حول المدرسة الغربية وقضايا التاريخ الجزائري، المنعقد بتاريخ ١٠، ١١، ١٢ مارس ١٩٨٧.

موضوع ملتقانا هذا ـ المدرسة الغربية وقضايا التاريخ الجزائري ـ ومصطلح المدرسة الغربية مصطلح حديث. وأنا أتناول بالدراسة موضوع «حرب يوغرطة» من وجهة نظر مؤرخ روماني، وبالتالي ربما يتبادر الى الأذهان من الوهلة الأولى انه خارج موضوع المدرسة الغربية، لكن لو تمعنا جيدا فيما كتبه المؤرخون الاغريق والرومان لا حول المغرب القديم فحسب، بل حول الشرق كله، لوجدنا أن المدرسة الغربية حديثة كمصطلح، وقديمة قدم التاريخ كفكر، وتكفينا نظرة على كتاب بلوتارخوس [1] (الأخلاقيات Moralia)، الذي يحتوي على جزء سماه: تحيز هيرودوت (De malignitate Herodotis) اتهم فيه أبا التاريخ بالميل والتحيز الى البرابرة (الشرق) واتهمه بالاجحاف، ذلك لأنه لم يكن متحاملاً على الشرق، بل نقول انه لم يظهر تحامله على الشرق، وتبجحه في شعوره القومي[2]، مثله مثل غالبية المؤرخين الاغريق والرومان، خاصة الاخيرين الذين يستهدفون وراء كتاباتهم تمجيد الأمة الرومانية، واظهار قوتها وفضلها، وبالمقابل اعتبار كل الشعوب والأمم الأخرى همجاً، لا دين ولا مله لهم، جبلوا على المكر والخديعة، ونذكر من هؤلاء المؤرخين على سبيل المثال تيتوس ليفيوس، وسالوستيوس. وربما كان هذا هو السبب وراء اختياري لكتاب سالوستيوس «حرب يوغرطة» (Bellum Jugurthinum) كموضوع بحث لهذا الملتقى.

والسبب الثاني ان هذا الكتاب، يعد المصدر الأساسي لهذه الحرب، نهلت منه المدرسة الغربية بدون تبصر او تحليل ـ عن قصد ـ في أحيان كثيرة، او لأنها لم تجد البديل في أحيان اخرى.

أما عن محتوى الكتاب فسالوستيوس يبدأه بمقدمة فلسفية مطولة، تحدث فيها عن الأخلاق والفضيلة والطبيعة البشرية والخير والشر والشهرة والعظمة والمجد والخلود، والعفة والشرف والاستقامة، ثم عن أسباب اختياره لحرب يوغرطة، ومكانة هذا الأخير ضمن العائلة الماسيلية، وعن ظروف تبنيه من طرف مكيبسا (مكوسن)، ثم صراعه مع ولدي عمه (شقيقيه بالتبني) غزربعل (Adherbal) وهمصبعل (Hiempsal) واستيلائه على السلطة، ثم اطوار هذه الحرب، ونظرا لسعة الموضوع سأكتفي في هذه الدراسة بتسليط الأضواء على ثلاث نقاط في الكتاب هي:

---

(1) Plutarque, De la malignitate herodotis, dans oeuvres morales, t. 4, pp. 209-260.

(٢) جورج سارتون، تاريخ العلم، ط. ٢، دار المعارف، القاهرة ١٩٧٠، الجزء الثاني، ص ١٥٨.

١ ـ المقدمة وعلاقتها بموضوع حرب يوغرطة.

٢ ـ فكرة التبني.

٣ ـ فكرة الرشوة، وبسبب تشعب هذه الفكرة وربما لكونها المحور الذي يرتكز عليه الكتاب، اكتفى بمناقشتها في خمس مواضع فقط على أن أعود الى الموضوع في دراسة لاحقة اوسع وأشمل.

## ١ ـ علاقة المقدمة بموضوع «حرب يوغرطة» :

يمكننا القول وبدون تردد ان المقدمة التي وضعها سالستيوس (Gaius crispus sallustius) لكتابه «حرب يوغرطة» لا صلة لها بموضوع الحرب، وأن صلتها بحياة سالوستيوس اوثق وأكبر من صلتها بموضوع الحرب وهو ما سنعمل على تبيانه في الصفحات الموالية، وذلك بالتعرض الى بعض الجوانب من حياة سالوستيوس والظروف النفسية التي كان يعيشها عندما بدأ في تأليف هذا الكتاب، بعد ان تجاوز الأربعينات من حياة مليئة بالطموحات والانتكاسات.

ينحدر سالوستيوس (كايوس كريسبوس ٨٦ ـ ٣٥ ق.م) من عائلة ثرية لكنها تنتمي الى الطبقة العامة، توجه الى روما بحثاً عن الشهرة والمجد، وعمل في نفس الوقت على تخليد اسمه :

"Summa ope niti decet ne uitam silentio transeant." [3] لكن قبل كل شيء المجد الذي كان يتمناه هو المجد الذي كان يتمتع به، وهو على قيد الحياة :

"Omnis homines qui sese student praestare ceteris animalibus summa ope niti decet ne vitam silentio transeant.[4]

ولتحقيق هذه الرغبة توجه سالوستيوس الى العمل السياسي، ومال الى الديمقراطيين (بحكم انتمائه الطبقي)، وعين محاسبا (Questeur) سنة ٥٥ ق.م، ثم ممثلاً للعامة في مجلس الشيوخ سنة ٥٢ ق.م لكنه سرعان ما أبعد منه بتهمة اخلاقية سنة ٥٠ ق.م، وبذلك تحطمت تجربته السياسية الأولى لكنه بعد سنة يبدأ تجربته الثانية رفقة

(3) cf. Sallustius, Catilina, 1 ......................................................................................................

(4) Ibid.

الدكتاتور (يوليوس قيصر) الذي أعادة الى مجلس الشيوخ سنة ٤٩ ق.م وعين محاسبا للمرة الثانية[٥].

وفي سنة ٤٧ ق.م عينه قيصر محققاً قضائياً (Preteur)، وكلفه بتهدئة الجيش المتمرد في مقاطعة كامبانيا (Campainie) الايطالية، لكنهم أساؤوا استقباله. وفي سنة ٤٦ ق.م، وبعد انتصار قيصر في معركة تابسوس عينه حاكماً لمقاطعة افريقيا الجديدة (Africa-nova)، لكن الأمور لم تسر كما كان يتمناها سالوستيوس، اذ اتهم بابتزاز الولاية، ولم يخلصه من التهمة سوى تقديمه مبلغ ١,٢٠٠,٠٠٠ ستراس لقيصر على ما يذكر ديون كاسيوس[٦].

وفي سنة ٤٥ ق.م عاد الى روما، وفي الخامس عشر من مارس سنة ٤٤ اغتيل قيصر، وبذلك غادر سالوستيوس الحياة السياسية دون تحقيق مبتغاه في الوصول الى منصب القنصلية[٧]. ويذكر في هذا الصدد انه حتى لو عاش قيصر اكثر من ذلك لما تمكن سالوستيوس من الوصول الى منصب القنصلية، بحكم ان قيصر وهو في سنته الأخيرة عندما كان يستعد للذهاب لمحاربة الفرنسيين (Parthes) عين القناصل مسبقاً، ولم يكن من بينهم سالوستيوس وهو ما جعل هذا الأخير يفقد كل الثقة، وقد عبر عن ذلك بقوله[٨] : . . . ان الشرف لم يعد مخصصاً للاستحقاق « . . . البعض بالدسيسة، لكنهم لم يجدوا لا الأمن ولا الاحترام، والبعض الأخر وصلوا بالقوة. »[٩] كما عبر عن خيبته ونيته في الاقلاع عن العمل السياسي في الفقرتين الثالثة والرابعة من حرب يوغرطة :

"Uerum ex eis magistratus et imperia, postremo omnis cura rerum publicarum minime mihi hac tempestate cupiunda uidentur guoniam neque virtuti hones."[10]

(٥) جرت العادة في روما، ان العودة الى مجلس الشيوخ بالنسبة لضحايا صرامة المراقبين، ان يكلفوا بمهام ادنى من التي كلفوا بها سابقاً مساوية لها مثل هذه الحالة التي عين فيها بنفس المنصب للمرة الثانية.

(6) Dion Cassius, Histoire romaine (XLIII,9), trad. E. Gros, éd. Firmin didot, Paris 1845-1870.

(7) cf. Richard (F), Conjuration de catiline; la guerre de Jugurtha, éd. Garnier-flammarion, Paris 1968, p. 14

(٨) سالوستيوس، حرب يوغرطة، ٣.

(٩) يقصد في الحالة الأولى الارستقراطية وفي الثانية قيصر.

(١٠) سالوستيوس، حرب يوغرطة، ٣.

“Sed ego adulescentulus initio, sicuti plerigue, studio ed rem publicam latus sum, ibique mihi multe aduersa fuere, Nam pro pudore, pre uirtute audacia, largitio auaritia uigebant. Quae tamestsi animus aspernabatur, insolens malarum artium tamen inter tanta uitia imbecilla aetas ambitione corrupte tenebatur; ac me, cum ab relicuarum malis moribus dissentirem, nihilo minus honoris cupido eadem quae ceteros fama atque invidia uexabat.”(11)

“Etiam homines noui, qui antea per virtutem soliti erant nobilitatem anteuenire, furtim et per latrocinia potius quam bonis artibus ad imperia et honore nituntur; proinde quasi praetura et consulatus atque alia omnia huiuscemodi per seipsa clara et magnifica sint, ac non perinde habeantur ut eorum qui ea sustinent uirtus est. Uerum ego liberius altiusque processi dum me ciuitatis morum piget taedetcue.”(12)

وأدرك سالوستيوس ان الشهرة والمجد يمكن بلوغهما بغير العمل السياسي، فتوجه الى الكتابة : “Pulchrum est bene facere rei publicae, etiam bene dicere haud absurdum est uel pace uel bello clarum fieri licet; et qui ficere (?) et qui facta aliorum scipsere multi laudantur.”(13)

كما ادرك ان للكتابة منافع للجمهورية، لا يجنيها العمل السياسي، وبذلك اقلع عن السياسة، وتوجه نحو الكتابة التي اعتبرها تسلية لكنها ذات منفعة : “Profecto existumabunt me magis merito quam ignauia iudicium animi mei mutauisse, maiusque commodum ex otio meo quam ex aliorum negotiis rei publicae uenturum.”(14)

---

(١١) سالوستيوس كاتيلينا، ٣.

(١٢) نفسه، حرب يوغرطة، ٤.

(١٣) نفسه، كاتيلينا، ٣.

(١٤) سالوستيوس، حرب يوغرطة، ٤.

"Uerum ex eis magistratus et imperia, postremo omnis cura rerum publicarum minime mihi hac tempestate cupiunda uidenture quoniam neque virtuti honos."[15]

بهذه النظرة على حياة سالوستيوس وبمحاولة مقارنتها بما جاء في مقدمتي: «حرب يوغرطة» و «مؤامرة كاتيلينا» نجد العديد من نقاط التشابة بين محتواها وحياة سالوستيوس.

فسالستيوس تحدث في مقدمته لـ «حرب يوغرطة» عن الأخلاق والفضيلة وأكد عليها في العديد من المواقع، في وقت نجده قد أبعد من مجلس الشيوخ الروماني، بتهمة اخلاقية، وقد قبض عليه متلبساً بجريمة الزنا رفقة «فوسته» ابنة سيلا وزوجة ميلون.

عندما عين حاكماً لافريقيا الجديدة اتهم بالاختلاس، ولم يخلصه من التهمة غير تقديمه مبلغاً مالياً لقيصر، وهذا ربما جعل سالوستيوس يتحدث عن ا لأمانة والاستقامة، ثم الرشوة لأن سالوستيوس انغمس فيها.

تحدث سالوستيوس عن امكانية تحقيق الشهرة والعظمة، بعيداً عن السياسة، وهذا بعد ان ارتمى فيها وخاب:

"Sed age adolescentulus initio, sicuti plerique, studio ad rem publicam latus sum, ibique mihi multa aduersa fuere.[16].

"Uerum ex eis magistratus et imperia, postremo omnis cura rerum publicarum minime mihi hac tempestate cupiunda uidentur quoniam neque virtuti honos."[17]

تلك هي بعض الجوانب المتعلقة بحياة سالوستيوس في مقدمته لحرب يوغرطة، ولا نستبعد ان يكون لاختيار سالوستيوس «حرب يوغرطة» علاقة مماثلة، لكن ربما أقل جلاء. فسالوستيوس مثلاً يذكر ان سبب اختياره لهذه الحرب هي: اولاً قساوتها وشراستها، لدرجة ان النصر فيها ظل لمدة غير مؤكد. وثانياً لأنه، لأول مرة تسجل مقاومة لاستبداد النبلاء، وهي المقاومة التي احدثت انقلاباً عاماً ...[١٨]. ولا نستبعد

(١٥) نفسه، ٣.

(١٦) نفسه، كاتيلينا، ٣.

(١٧) نفسه، حرب يوغرطة، ٣.

(١٨) نفسه، حرب يوغرطة، ٥.

ايضاً ان يكون هذا السبب الأخير هو الدافع الأساسي الى تأليف الكتاب، بهدف مواصلة الهجوم على النبلاء، الذين وقفوا في طريقه وطريق الطبقة العامة في العديد من المناسبات، كما يمكننا ان نشير الى حادثة ابعاده من مجلس الشيوخ الروماني سنة ٥٠ ق.م، ففي هذا الوقت الذي ابعد فيه سالستيوس من المجلس كان زميله في تمثيل العامة كيريون (Curion) يتابع امام الشعب المطالبة بسقوط يوبا الأول وحظر مملكته[١٩]. وفي هذه القضية تجديد لموقف العامة من مملكة نوميديا، هذا الموقف الذي لم يحد عنه سالوستيوس في كتابه «حرب يوغرطة»، وهو اعتبار «نوميديا» جزءاً من ممتلكات الشعب الروماني.

اذن يمكننا القول ان سالستيوس عندما هم الى تأليف هذا الكتاب، وضع نصب عينية هدفاً لم يحد عنه اطلاقاً وهو مهاجمة النبلاء، وابراز دور ممثلي العامة في مجلس الشيوخ، في الدفاع عن الأخلاق والشرف والمصلحة العليا للبلاد امام النبلاء، الذين لا هم لهم سوى اللهث وراء المصالح الشخصية[٢٠].

## ٢ ـ فكرة التبني

في معرض حديث سالوستيوس في ظروف تبني مكيبسا (مكوسن) ليوغرطة، يذكر بعد ان استعرض خصال يوغرطه المتمثلة في حدة الذكاء والشجاعة ان مكيبسا استبشر خيراً بهذه الخصال باديء الأمر، لكن تقدمه في السن وصغر ابنيه (عزبعل وحمصبعل) جعله ينقلب على يوغرطة، الذي اصبح يرى فيه خطراً على ولديه. وبدأ يفكر في طريقة تخلصه منه، فكر اولاً في اغتياله لكن خشي ان يتسبب ذلك في ثورة النوميديين[٢١]، وأعطته حرب نومانس الفرصة لعرض يوغرطة للخطر، فأرسله على رأس فرقة من النوميديين، عساه يذهب ضحية شجاعته وأقدامه[٢٢]، ولكن يوغرطة استطاع بما أظهره

(19) Cesar (Caius Julius); Bellum africum, 11, 25, trad. A. Bouvet, éd les belles lettres, Paris, 1949; et Dion Cassius, XL1, 41, 3.

(٢٠) انظر الفقرة ٣١ من حرب يوغرطة على سبيل المثال، حيث يعمل سالوستيوس على ابراز دور ممثل العوام «كايوس ميوس» في الدفاع عن المصلحة العليا للبلاد والعدالة ... والنبلاء يرتشون (الفقرتان ٣٢ ـ ٣٣ وفي غيرهما).

(٢١) سالوستيوس، حرب يوغرطة، ٦.

(٢٢) نفسه، ٧.

من فطنة وتواضع ان يكسب ود وصداقة كثير من الرومان، وكذلك ثناء القائد الروماني سكيبير ايمليانوس، الذي كلفه ـ بعد هذه الحرب ـ تبليغ الرسالة التالية الى مكيبسا :

«. . . لقد اظهر يوغرطة في حرب نومانس شجاعة منقطعة النظير، هذه بشرى أزفها اليك، ولا شـك انها ستغمر قلبك بالسعادة، ليوغرطة من الخصال ما جعله عزيزاً لدينا، وسنعمل كل ما في وسعنا ليشاطرنا مجلس الشيوخ والشعب الروماني هذا الاحساس، باسم صداقتنا اقدم لك اطيب التهاني، لك في يوغرطة رجل جدير بك، وجدير بجده مسينيسا[٢٣].

بهذا التسلسل قدم سالوستيوس الأحداث بهدف الوصول الى ان هذه الرسالة كانت بمثابة ايعاز من سكيبيو الى مكيبسا بضرورة تبني يوغرطة وإشراكه في الحكم، اذ اورد انه بعد تلقي مكيبسا لهذه الرسالة غيّر رأيه في يوغرطة، وفوراً تبناه، وأوصى له بالعرش مثله مثل ابنائه :

“Igitur rex, ubi ea quae fama acceperat ex litteris imperatoris ita esse ita esse cognouit, cum uirtute tum gratia uiri permotus, flexit animum suum et Iugurtham benéficiis uincereaggressus est, statimque eum adoptavit et testamento pariter cum filiis herdem instituit.”[24]

لكن اذا حاولنا تحليل ما جاء في هذا الفقرة وما بعدها، سنجد ان سالوستيوس قد وقع في متاهات لا حصر لها :

إذ من المعروف تاريخياً ان مكيبسا توفي سنة ١١٨ ق.م، ويفهم من الحديث الذي دار بين الأشقاء الثلاثة بعد الانتهاء من مراسيم الدفن، حسب رواية سالوستيوس، ان اقتراح يوغرطة بالغاء كل التدابير والقرارات التي اتخذها مكيبسا في الخمس سنوات السابقة لوفاته، فقد احرز على رضى حفصبعل : «بكل طيبة خاطر»، أجاب حمصبعل، بما ان مكيبسا تبناك منذ ثلاث سنوات فقط، ليسمح لك بالوصول الى العرش . . . [٢٥]. معنى هذا ان يكون التبني قد وقع على ابعد تقدير سنة ١٢١ ق.م، لكن سبق

(٢٣) نفسه، ٩.

(٢٤) سالوستيوس، حرب يوغرطة، ٩.

(٢٥) نفسه، ١١.

لسالوستيوس ان ذكر ان مكيبسا تبنى يوغرطة فور عودته من نومانس، بعد تلقيه رسالة سكيبيو ايمليانوس، لكن اذا علمنا ان حرب نومانس انتهت بسقوط المدينة على يد سكيبيو سنة ١٣٣ ق.م. (٢٦)، وما دام التبني قد وقع فور عودة يوغرطة من

نومانس، فالمفروض ان يكون في ثلاثينات القرن الثاني ق.م، على الأقل، أي باثني عشر سنة تقريباً، وليس بثلاث سنوات قبل وفاة مكيبسا، والخطأ هنا واضح عند سالوستيوس الذي قلص فترة الخمس عشرة سنة التي تفصل بين سقوط نومانس ووفاة مكيبسا الى ثلاث سنوات. ورغم ان قزال(٢٧) يرى ضرورة الفصل هنا بين قرارين، لمكيبسا بشأن يوغرطة (١) التبني، و (٢) تسجيله في الوصية كوريث للعرش، يكون بالتالي احدهما مؤرخاً بـ ١٣٣ ق.م، والآخر بـ ١٢٠ ق.م، ولكن نص سالوستيوس واضح لا يحتاج الى تأويل. وحتى اذا افترضنا هذا التأويل فهو لا جدوى منه، لسببين :

١ - إذا افترضنا ان التبني حدث سنة ١٣٣ ق.م. فهو وحده يمكن يوغرطة من الوصول الى الحكم وفق التقاليد النوميدية، وبالتالي لا حاجة للوصية.

٢ - إذا افترضنا ضرورة هذه الوصية فيكون ايضاً مكيبسا لم يتبن يوغرطة، نزولاً عند رغبة سكيبيو ايمليانوس، كما يذهب الى ذلك جل المؤرخين،(٢٨) لأن هذه الوصية، كما رأينا، تعود الى سنة ١٢٩ ق.م، وكان سكيبيو ايمليانوس قد توفي منذ تسع سنوات (توفي سنة ١٢٠ ق.م، واعتماداً على هذا نستطيع ان نستبعد ما يذهب اليه جلّ المؤرخين من أن مكيبسا تبنى يوغرطة نزولاً عند رغبة سكيبيو، اذ واضح ان مكيبسا لم يتبن يوغرطة فور عودته من نومانس، وإنما تبناه فعلاً عندما اشتد عليه المرض، وشعر بدنو اجله، وهو ما اشار اليه سالوستيوس بقوله :

"Sed ipse paucos post annos, morbo atque aetate confectus, cum sibi finem uitae adesse intellegeret."(29)

(26) cf. Gsell (S.), Histoire aneionne de L'Afrique du Nord, éd. Osnabrück, otto zelkeveslag 1972-1977, t 7, P 140.

(٢٧) قزال، المرجع السابق، الجزء ٥، ص ٥٢، الهامش رقم ١. ج. ٧ ص ١٤١ الهامش ١.

(٢٨) انظر فنظر (محمد)، يوغرطة من ملوك شمال افريقيا وايطاليا، دار التونسية للنشر تونس ١٩٧٠، ص ١٢١.

(٢٩) سالوستيوس، حرب يوغرطة، ٩.

في خضم كل هذا، هل يمكننا التحدث هنا عن اصلاح اداري قام به مسينيسا، وأراد مكيبسا الاحتفاظ به ؟

لا نستطيع الجزم في هذا الموضوع، لكن النقوش توحي بذلك، فقد عثر على نقيشة من نقوش معبد حتحور بمكثر[٣٠]، تثبت ان الحكام الذين حكموا مكثر كانوا ثلاثة لا اثنين، كما هو في قرطاجة، وهذه النقيشة اكدتها شاهدة قبر كنتوس فيريوس روقاتوس (Q. Verrius Rogatus)، التي تعطي لهذا الشخص لقب المثالث (Triumvir). وقد استمر الحكم في مكثر في يد هيئة ثلاثية حتى تحويل المدينة الى مستعمرة في عهد الامبراطور ماركوس اوريليوس (١٦١ - ١٨٠م). ومما يلاحظ ايضاً ان الأشفاط (جمع شفط اي قاضي) الثلاثة في النقيشة المذكورة كانوا يحملون اسماء نوميدية. ونعثر على نموذج آخر في الكونفيدرالية القرطتية، التي كان يحكمها ثلاثة ولاة، وهو ما لم يعثر له بيكار[٣١] على تفسير.

وقد مرت قيرطا (قسنطينة حالياً) بمرحلة الحكم الثنائي[٣٢] (Duovir)، أيام كانت مستعمرة، لكن مع تكوين الكونفدرالية في اوائل القرن الأول بعد الميلاد، تحولت الى الحكم الثلاثي[٣٣] (Triumvir)، فهل يتعلق الأمر هنا باحياء عادة نوميدية، رغم اننا لا نملك ما يؤكد ذلك بصفة قطعية، غير ان العثور على نقيشتين في روزيكاد (سكيكدة)[٣٤] فيهما ما يؤكد الحكم الثلاثي في هذه المدينة، وأيضاً في ميلة التي اصبح الحكم فيها ثلاثياً، بعد الغاء الكونفدرالية القيرطتية، وهو ما تؤكده النقوش[٣٥]. كما تحدثت النقوش عن ولاة ثلاثة في القل[٣٦]، هذاكله اضافة الى اتفاق البونيقيين

(30) Picard (Gilbert-Charles), "civitas mactarina", in karthago, t. 8, (1957), p. 39.

(31) ID., p. 40, No 133.

(32) cf. Vars (Ch.), "Recherches archéologique sur Cirta", (2e partie organisation administrative de Cirte), Rec. de Constantine, t. 29, (1894), p. 511; Gsell (S.), Atlas archéologique de l'Algérie, éd. Jordan, Alger, 1911, Pl 17, pp 11-13.

(33) Corpus inscriptionum latinarum, éd. Academie litterarum regiae borussicae berolini 1981 (ab.C.I.L.) t. VIII,I, P. 618.

(34) C.I.L., VIII, I inse, no G210: Gsell (S.) Atlas Pl. 17, P. 3, no 59.

(35) C.I.L., VIII, I n°s 6710, 6711, 6958, 7097, 7098, 7125, 8195.

(36) ID. n° 6710-11, 6958, 7097-98, 7198, 7123, 7128, 8125.

والرومان في اسناد ادارة المدن الى هيئة ثنائية يجعلنا نرى في الحكم الثلاثي ونظاماً وتقليداً خاصاً بنوميديا.

### ٣ - الرشوة :

كتاب سالوستيوس «حرب يوغرطة» مليء بالمواضيع التي تحدث فيها عن الرشوة، اخترنا منها خمسة مواضع للمناقشة والتحليل، نوجزها فيما يلي :

١ - بعد حرب نومانس وبعد ثناء سكيبيو على يوغرطة على مرأى الجنود الرومان انفرد به ونصحه بتوثيق علاقاته بالشعب الروماني كله، وبين له ان العلاقات الشخصية غير كافية، ونبهه الى خطورة شراء ما يملكه الشعب كله من أقلية لا ترى سوى مصالحها(٣٧).

٢ - اثناء الصراع بين يوغرطة وعزربعل ارسلت روما وفداً من عشرة اعضاء برئاسة لوكيوس اوبيميوس (L.Opimius) بهدف فك النزاع بين الشقيقين فتم تقسيم المملكة بينهما، فحصل يوغرطة على الجزء الغربي الأكثر ثراء والأوفر سكاناً، بفضل الرشوة التي قدمها للوفد، بينما حصل عزربعل على الجزء الشرقي العديم الفائدة، رغم كثر المدن والمرافيء(٣٨).

٣ - لم يحترم يوغرطة امر التقسيم وانقض على عزربعل وحاصره في قيرطا فأرسلت روما وفداً برئاسة سكاوروس (Scaurus)، ولكن يوغرطة لم يبال، وواصل زحفه على قيرطا، التي دخلها وفتلك بالجالية الايطالية وغزربعل، فثارت العامة في روما، ودعت الى اعلان الحرب، ارسل يوغرطة وفدا الى روما مثقلاً بالهدايا والذهب، ليجنب نفسه الضربة الموجهة له، ولكن وعلى اثر نزول الوفد النوميدي في ايطاليا، طلب القنصل بستسيا (Bestia) من مجلس الشيوخ ان كان من رأيه استقبال مبعوثي يوغرطة في روما، لكن مجلس الشيوخ رد بالرفض، ان لم يكونوا آتين لوضع «المملكة» و «الملك» تحت تصرف الشعب الروماني(٣٩).

(٣٧) سالوستيوس، حرب يوغرطة، ٨.

(٣٨) نفسه، ١٦.

(٣٩) نفسه، ٢٣.

٤ ـ نزل بستيا في الولاية الرومانية بافريقيا، وبعد ان ضمن التموينات، توغل في الأراضي النوميدية واستولى على العديد من الأسرى والمواقع، لكنه باع السلم الى يوغرطة، تمت دعوة يوغرطة الى روما بهدف استنطاقة، لكن بابيوس منعه من الكلام «اللعبة معروفة ـ الرشوة ـ» مما أثار ضجة في مجلس الشيوخ.

ان اغتيال مسيوا (Messiva) لم يترك خياراً لمجلس الشيوخ الذي أمر بابعاد يوغرطة من روما، واعلان الحرب، مع تولي البينوس (Sp. Aloinus) مهام القيادة[٤٠]

٥ ـ بعد دخول مسيتلوس مدينة «تالة» ومغادرة يوغرطة لها، توجه هذا الأخير الى بلاد الجيتول، حيث جيّش الجيوش، وعمل على استمالة بعض الشخصيات المقربة من الملك الموريطاني «بوخوس» بالهدايا والوعود، وبفضل هذه الشخصيات اثر على الملك الموريطاني، وأقحمه معه في الحرب ضد روما[٤١].

ففي الموضع الأول يوحي لنا سالوستيوس وكأن يوغرطة بدأ يفكر في شراء اعضاء مجلس الشيوخ منذ أيام نومانس، وهو ما نعتبره من الأحكام المسبقة، والأغراض التاريخية عمل بها سالوستيوس لتهيئتنا لقبول ما سيأتي من احكام في هذا الموضوع.

اما ما ذكره في الموضع الثاني حول التقسيم فهو يتنافى والواقع التاريخي، فالمنطقة الشرقية التي اعتبرها سالوستيوس عديمة الفائدة هي اكثر ثراء وأوفر عمراناً في الواقع، اذ استفادت من وسائل الاستثمار اكثر من المنطقة الغربية، فالمنطقة التي حصل عليها عزربعل تضم اقليم قيرطا العاصمة الملكية، وعلى احتكاك بقرطاجة، ثم بالولاية الرومانية، وتمتد حتى السرت الكبير، وتضم السهول الكبرى وسهول امبوريا والعديد من المرافيء التجارية والمدن الكبرى. خلافاً للمنطقة الغربية التي ظلت ولمدة طويلة بعيدة عن مناطق التأثير والاستغلال، ولا نستبعد ان يكون سالوستيوس يضمر سوء نية، عندما اكد انتفاع يوغرطة من حصوله على القسم الغربي، واخفاء سالوستيوس للحقيقة، يجعلنا نتساءل عن الدواعي الحقيقية التي دفعت وفد العشرة الى منح عزربعل الجزء الشرقي من نوميديا، الا يكون في ذلك ابعاد ليوغرطة الذي لا تطمئن روما الى

(٤٠) سالوستيوس، حرب يوغرطة، ٣٣ ـ ٣٦.

(٤١) نفسه، ٨٠.

نواياه، اما عزربعل العائد في الحال من روما بعد ان اكد تبعية مملكته وخضوعه لارادة الشعب الروماني[٤٢]، فلا خوف منه، الا تكون هذه القاعدة هي التي تحكمت في التقسيم وليست الرشوة؟ فالمنطقة الشرقية الكثيرة الموانيء والمدن التي تحيط بها الحقول والمزارع كانت تقدم للتجار الرومان مجالاً واسعاً للنشاط والاستغلال[٤٣] مع ما يوفره لهم عزربعل من حرية التحرك.

إذا كانت هذه القاعدة هي التي تحكمت في التقسيم فلماذا هذا السكوت عنها من سالوستيوس؟ ألّا يكون لذلك علاقة بشخص اوبيميوس رئيس وفد العشرة وبأحداث سابقة جرت في روما؟ لا نستطيع الجزم في الأمر لكننا على علم ان اوبيميوس هذا هو قاتل المصلح الشعبي كايوس كراكوس (Caius Cracchus)، وبالتالي الا يكون اوبيميوس هذا مذنباً على الأقل من وجهة نظر العامة، ويجب الانتقام منه؟! ربما كان ذلك وراء توريطه في قضية الرشوة.

أما في الموضوع الثالث فكلام سالوستيوس يثير العديد من التساؤلات

أ - يفهم من كلام سالوستيوس ان يوغرطة ارتمى على عزربعل بمجرد ذهاب الوفد الروماني «بعد تقسيم المملكة، ومغادرة وفد مجلس الشيوخ افريقيا . . . هاجم يوغرطة فجأة وبفرقة قوية أراضي عزربعل.»

"Postquam diuiso regno legati Africa decessere ... igitur ex improuiso finis eius cum magna manu invadit."[44]

لكن المعروف تاريخياً ان التقسيم تم اواخر سنة ١١٧ ق.م، والاختلاف بين الشقيقين يعود الى سنة ١١٣ ق.م. من هنا نفهم ان سالوستيوس تجاهل اربع سنوات، ولا نستبعد ان يكون ذلك عن قصد، لماذا؟ لا ندري، لكن ربما ليبين لنا طموح يوغرطة الزائد ولهفته على تلطيخ الشرف الروماني.

(٤٢) سالوستيوس، حرب يوغرطة، ١٤.

(٤٣) تحدث سالوستيوس عن هؤلاء التجار ودورهم في الدفاع عن قيرطا حتى لا تسقط في يد يوغرطة، ربما كان هذا دفاعاً في الواقع عن مصالحهم حتى لا تقع في يد يوغرطة. (انظر الفقرة ٢٦ من حرب يوغرطة).

(٤٤) سالوستيوس، حرب يوغرطة، ٢٣.

ب ـ إذا كان بستيا قد تلقى فعلاً تلك الأوامر القاضية بعدم القبول بأي شيء غير خضوع الملك لارادة الشعب الروماني[٤٥]، احترنا لماذا وقّع معاهدة السلم مع يوغرطة وخاصة ان هذه المعاهدة جاءت بعد توغل بستيا في الأراضي النوميدية وبعد أخذ العديد من الأسرى والمواقع على ما يذكر سالوستيوس[٤٦]. في نظر سالوستيوس ـ طبعاً ـ يكون بستيا قد فضل المال على الشرف، اما الواقع فغير ذلك، اذ نجد مثلا كاركوبينو[٤٧] يعلل ذلك باعتبارات انتخابية بالنسبة لبستيا. اما بالنسبة لمرافقة سكاوروس فيعلل ذلك ببعد نظره الى ما يترتب عن استمرار هذه الحرب من خسائر، ففضل ـ وفق تعبير كاركوبينو ـ كسباً محدوداً على المغامرة في حرب لا يرى لها نهاية، فكان سوق لبدة[٤٨] في نظره يكفي لارضاء الارستقراطية الرومانية.

جـ سكاوروس (Scaurus) المرافق لبستيا والذي قدمه لنا سالوستيوس ثائراً على المرتشين في بداية الحرب، ها هو يتقبل الرشوة، ربما اعتبر هذا امراً طبيعياً، لكن الغريب ان سكاوروس هذا الذي تقبل الرشوة[٤٩] سرعان ما تم اختياره ضمن الثلاثة المكلفين بالتحري في قضية الرشوة[٥٠] وهو لغز لم نجد له حلاً!

د ـ يذكر سالوستيوس ان دخول يوغرطة قيرطا والفتك بالجالية الايطالية كان وراء دعوة العامة لاعلان الحرب، ولكن الملفت للانتباه ان دخول قيرطا كان في صائفة ١١٢. ولا شك ان الخبر وصل مباشرة الى روما، التي كانت تترقب الأمر، لكنه لم يتسبب في أي رد فعل فوري، والظاهر ان الخبر استقبل بشيء من البرودة والامبالاة. وكان يجب انتظار نهاية فترة الخريف، حتى يبدأ كايوس مميوس (C. Cemmius) في إثارة العامة ضد الرشوة اكثر منها ضد تقتيل الجالية الايطالية،

(٤٥) نفسه، ٢٠.

(٤٦) المكان السابق.

(47) cf. Carcoplno (J.), La republique Romaine de 133 à 44 Av. J.C, éd. P.U.F., Paris 1935-50, p. 294.

(٤٨) تنص المعاهدة الموقعة بين بستيا ويوغرطة على سيادة يوغرطة على كامل نوميديا ما عدا مدينة لبدة، التي طلبت في بداية الحرب الانفصال عن يوغرطة وفق ما اورد سالوستيوس في كتابه حرب يوغرطة.

(٤٩) سالوستيوس، حرب يوغرطة، ٢٩.

(٥٠) نفسه، ٤٠.

لأننا لا نجد حتى في نص سالوستيوس اشارة الى تقتيل الايطاليين خاص[٥١]

أما في الموضع الرابع من مواضع الرشوة فقد قدم لنا سالوستيوس احداثاً مهزوزة ومتداعية من عدة جوانب :

١ - يوغرطة يضع نفسه تحت تصرف الشعب الروماني، وينتقل الى روما، حيث يرتكب جريمة وعوض الالقاء به في السجن يبعد من روما ليعود الى نوميديا ويتولى من جديد قيادة قواته.

٢ - في الجهة الأخرى القنصل البينوس يجتاز البحر وكله امل في القضاء على يوغرطة، لكنه يعود الى روما في خريف ١١٠ ق.م، دون ان يحقق شيئاً يذكر، تاركاً القيادة لشقيقة الوس (Aulus Albinus)، ونتيجة لتعطل الانتخابات قام هذا الأخير خلال شهر يناير (جانفي) ١٠٩ بحمله عل نوميديا، وفي سوثول اذاقه يوغرطة شر هزيمة. وعملاً على محو آثار هذه الهزيمة، ورد الاعتبار عاد سبيريوس البينوس (Sp. Albinus) الى افريقيا عساه يصلح ما فسد، لكنه لم يجد في افريقيا غير جيش منهار المعنويات، غير منظم وغير قادر على القيام بأي عمل[٥٢]، فعاد سبيريوس ثانية الى روما تاركاً القيادة لشقيقه، في هذه الأحداث حادثتان تسترعيان الانتباه :

أ - بعد عودة سبيريوس الى روما ترك القيادة لشقية اولوس بصفته بروبريتورا[*] (Propreteur) وهي صفة جديدة. وطبيعي انه لم تكن له مهمة اخرى غير انتظار القنصل الجديد لسنة ١٠٩ ليخلفه في شهر يناير (جانفي) لكنه في هذا الشهر بالذات بقوم بحمله على نوميديا!

ب - بعد ان تحدث سالوستيوس على تعطيل الانتخابات بسبب اثارة العامة لجدال حول القوانين الأساسية يقدم لنا فجأة ميتلوس كقنصل من نصيبه نوميديا، لكن الغريب اننا نجد سبيريوس البينوس ما زال يعمل بصفته بروقنصلاً وهذا رغم وجود قنصل معين، فجند الفرق وأعاد تكوين جيش افريقيا بمساعدة الحلفاء والايطاليين[٥٣].

(٥١) سالوستيوس، حرب يوغرطة، ٢٦.

(٥٢) نفسه، ٣٧ - ٣٩.

(٥٣) سالوستيوس، حرب يوغرطة، ٢٩.

(*) البروبريتورا : في روما القديمة هو القاضي الذي يعفى من منصبه القضائي ويعهد إليه بإدارة مقاطعة رومانية.

وعلى ضوء هذا التناقض يمكننا القول ان الجدال الذي أثارته العامة حول القوانين الأساسية قد تسبب في تعطيل الانتخابات لسنة ١٠٩ ق.م. واستمر سبيريوس البينوس في منصبه بصفته بروقنصلاً. وبهذه الصفة جيش الجيوش وعاد الى افريقيا. اما انتخاب ميتيلوس كقنصل، فكان لسنة ١٠٨ ق.م، ومما يدعم هذه الفكرة ان حرب يوغرطة تنتهي بالقبض على الملك سنة ١٠٥ ق.م، ووضع قنصلية ميتلوس لسنة ١٠٨ق.م، يتماشى والأحداث التاريخية. اذ من المعروف ان ميتيلوس بقي بافريقيا سنتين(٥٤). فتكون من وجهة نظرنا سنتي ١٠٨ - ١٠٧ق.م. بينما يعين ماريوس لسنتي ١٠٦ - ١٠٥، وهو ما يوافق ما ذكره فليوس باتركولوس(٥٥) (Velleius Paterculus)، الذي يذكر ان ماريوس عاد في قنصليته الثانية ومعه يوغرطة. واذا اخذنا بتعيين ميتلوس لسنة ١٠٩ق.م. الذي يأخذ به كثير من المؤرخين، يكون ماريوس قد بدأ حملته سنة ١٠٧ق.م.، ويكون بذلك قد بقي بافريقيا ثلاث سنوات، وهو ما يتنافى مع ما ذكره فليوس وسالوستيوس.

اما الموضع الخامس والأخير بالنسبة لهذه الدراسة فالواقع ان سالوستيوس، الذي اعتبر الرشوة السبب الأول في اقحام بوخوس في الحرب ضد روما، قد أشار ايضاً الى السهولة التي تم فيها هذا التقارب بين يوغرطة وبوخوس، وذلك لاعتبارين:

أ - كون بوخوس قد عرض على الرومان في بداية هذه الحرب التحالف، ولكنهم رفضوا عرضه.

ب - زواج يوغرطة باحدى بنات بوخوس(٥٦) (Bocchus).

وقد اعتبر سالوستيوس هذا العامل الثاني غير ذي اهمية، بحكم ان رابطة الزواج عند النوميديين والموريطانيين لم تكن لتمتن الروابط العائلية، نتيجة تعدد الزوجات(٥٧).

---

(٥٤) بعد انتهاء قنصليته اقره مجلس الشيوخ في منصبه بصفته قنصلاً مساعداً (بروقنصل) رغماً عن ارادة العوام، الذين كانوا يساندون مساعدة ماريوس على ما يذكر سالوستيوس (الفقرة ٧٣ من حرب يوغرطة).

(55) Velleius Paterculus, Histoire Romaine, trad. P. Hasinsselin et H. Watelit, éd. de Busccard, Paris 1966, (11,12).

(٥٦) سالوستيوس، حرب يوغرطة، ٨٠.

(٥٧) نفسه.

وهو في رأينا ما يخالف الواقع، فالروابط العائلية كانت دائماً من أمتن الروابط عند المغاربة، رغم فكرة تعدد الزوجات التي أشار اليها بعض المؤرخين. ولا نستبعد ان يكون سالوستيوس هنا منطلقا من رؤية الرومان لفكرة تعدد الزوجات، التي لا يحبذونها، بل نقول ينبذونها ويحرمونها، وفي هذا الاطار نتذكر حادثة زواج يوليوس قيصر من كليوباترة، وهو الزواج الذي لم يعترف به المجتمع الروماني، واعتبر ابنها قيصرون ـ فيما بعد ـ ابنا غير شرعي(٥٨). ومن هنا لا نستبعد ان يكون لعامل الزواج هذا الدور الحاسم في انضمام بوخوس الى يوغرطة، كما تجدر الاشارة ايضاً الى الكلمة الي ألقاها بوخوس في محضر سيلا، حيث قال: «انه اذا حمل السلاح، فليس من اجل الاعتداء، لكن من اجل الدفاع عن مملكته . . . وأنه لا يسمح لماريوس، او لأي كان بالاعتداء عليها وتخريبها . . . (٥٩)

تلك اذن هي العوامل التي تحكمت في التحالف النوميدي ـ الموريطاني من وجهة نظرنا ـ وليست الرشوة التي اتخذها سالوستيوس وسيلة لمهاجمة النبلاء عامة واعضاء مجلس الشيوخ خاصة كلما اتيحت الفرصة لذلك.

هذه بعض المآخذ التي رأينا ضرورة الاشارة اليها عند سالوستيوس الذي لم يكن في هذا الكتاب «حرب يوغرطة» مؤرخاً فحسب، بل كان ايضاً سياسياً يدافع عن مصالح طبقته، وذلك بالكشف عن مفاسد طبقة النبلاء، والتأكيد على انتصار الفضيلة وصفاء الشعب، على نزعة الشر والاثم عند النبلاء، لدرجة انه يوحي لنا ان الحرب التي خاضها النبلاء بشيء من الفتور لم تنته الا بفضل العامة التي عملت حتى اوصلت رجلا جديداً ـ ماريوس ـ رغماً عن ارادة النبلاء، وهو الذي دفع الحرب الى نهايتها والقبض على يوغرطة، كما يمكننا القول ان الصراع بين النبلاء والعامة كان وراء اختيار سالوستيوس موضوع «حرب يوغرطة» بهدف ابراز الصراع القائم آنذاك في روما ودور العامة فيه، وهو الصراع الذي كانت له تأثيرات على العالم غير الروماني، وهي تأثيرات ناجمة ـ من وجهة نظرنا ـ عن اختلاف مصالح الطبقتين، حتى انه يحق لنا ان نتساءل ان لم تكن هذه الحرب نتيجة لهذا الصراع، خاصة واننا عرفنا ان دخول يوغرطة قيرطا،

(٥٨) في هذا الاطار نذكر اعتبار سالوستيوس ليوغرطة ابنا غير شرعي لمصطنبعل، لأنه ربما لم يكن من زوجته الأولى، فكان من عادة هؤلاء المؤرخين النظر للأحداث منظور المعتقدات والتقاليد الرومانية، وهنا يكمن الخطأ.

(٥٩) سالوستيوس، حرب يوغرطة، ١٠٢.

الذي اعتبره سالوستيوس السبب المباشر لهذه الحرب، كان في صائفة ١١٢ ق.م. لكن الاعداد للحرب لم يبدأ الا في اواخر هذه السنة، ولم تبدأ الحرب فعلاً إلّا في ربيع سنة ١١١ ق.م.

ومما لا شكل فيه ان سالوستيوس كان عارفا باصول النزاع الطويل بين نوميديا وروما، والغريب انه حضر المداولات التي كانت تطالب في سنة ٥٠ ق.م، بالحاق نوميديا بالممتلكات الرومانية[٦٠]، في وقت اعتبر في نوميديا ـ في كامل كتابه ـ جزءاً من الممتلكات الرومانية من وجهة نظر اسلافه لسنة ١١٠ ق.م، فإذا كانت كذلك منذ سنة ١١٠ او قبلها فلماذا المطالبة بحظرها سنة ٥٠ ق.م.؟

ومع هذه المآخذ وغيرها والتي تدفعنا الى اخذ الكتاب بحذر شديد ينفرد سالوستيوس عن المؤرخين الرومان، باقلاعه عن طريقة الحوليات، وتوجهه الى كتابة بحوث مطولة في موضوع واحد، هذا اضافة الى الصياغة اللغوية الجيدة، وهو ما جعل تاكيتوس يلقبة بـ «المعلم».

(٦٠) وضع كيريون ممثل العامة لسنة ٥٠ ق.م. مشروعاً يطالب فيه باسقاط يوبالا الأول وحظر مملكته. انظر قيصر، الحرب الافريقية، ١١، ٢٥، ديون كاسيوس، XLI، ٣.